



اليهود هم اليهود، لا يتغيرون ولا يتبدل خبثهم ومكرهم أبداً، يعيشون على الفتنة ويقتاتون الأذى، ويزرعون البغضاء بين الأمم. إنها سيرتهم الذليلة، وسماهم البغيضة، وهام كبراءهم يغذون السير إلى مكة المكرمة، ليحرضوا كفارها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وصحابته، وقد غرتهم نتائج غزوة أحد، وغرهم الشيطان بأمانيه الخادعة، ويصيخ حمقى قريش ورعاءها السمع لأولئك الخبيثاء.

وتحاك بليل مؤامرة ضد الدولة المسلمة، القائمة في المدينة المنورة ، تدعو الناس إلى ربهم ، ولا تألوا جهداً لهدايتهم إلى الحق، وتقدم خيرة أبنائها برضى وتسليم ، فداء لكلمات الله الهادية. وهي تأمل من تلك التضحيات أن تكون منائر وبصائر تقود الضالين إلى مرابع النور، وتفتح عيوننا طالما عميت عن الحق ، فتؤوب إلى ربها وتتألب الأحزاب وتجتمع في خطوة جريئة ومدبرة ومدروسة بعناية وتخطيط محكم ، تتجه الجيوش إلى طيبة المنية إلى ربها، ويسير حيي بن أخطب إلى بني قريظة مؤلباً إياهم على خيانة عهد محمد ، وهو يغري سيد قريظة كعب بن الأشرف بذلك ويقول : {قد جئتكم بعزّ الدهر، قريش على سادتها ، وغطفان على قادتها وأنتم أهل الشوكة والسلاح ، فهلّم حتى نناجز محمداً ونفرغ منه، ويجيبه كعب قائلاً :

يل والله جئتني بذلّ الدهر، جئتني بسحاب قد أراق ماءه، فهو يردد ويبرق و يظلّ شيطان بني النضير الحاقد يغريه بنقض العهد، ويمنيه الأمانى حتى استجاب وأضمر الخيانة وتحزّب مع الأحزاب وأحاط بها مع الأحزاب وفي المدينة المنورة قلوب تصبو إلى الشهادة ، وترتقب النصر ، وتحنّ إلى الجنان شوقاً ، وتستهام بحبّ الله، ولا يقعدا عن الجهاد خوف ولا قلة ولا كثرة عدو، ويبلغ خبر خيانة قريظة سمع الحبيب المصطفى ، فيكبّر قائلاً : أبشروا يا معشر المسلمين.

إنها الثقة المطلقة بالله القادر العليم ، الذي ينصر الصادقين ويذلّ المفسدين، والذي اقتضت حكمته سبحانه ان يجعل النصر مقرونا بالصبر ، والعسر متبوعاً باليسر ، والابتلاءات سنته في المؤمنين ، كما أنّ الهلاك والذلّة والغضب سنته جل وعلا في الكافرين .

وهكذا ترتج المدينة المنورة بالتكبير ، وتتناقل البشرى بتصديق ويقين، حتى وهي ترى الأحزاب تتقاطر لتحيط بمدينة الإسلام ، ولكن ثبات القائد وثقته بربه تسري في القلوب والأرواح الطيبة المؤمنة ، فتملأها يقينا بنصر الله.

ويشير سلمان الفارسي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بحفر خندق حول المدينة، وهي خدعة لم تكن العرب تعرفها ، وانطلقت السواعد القوية تضرب الأرض، وتفتت الصخر، وهي تتأسى بنبيها القدوة - صلى الله عليه وسلم-، وتستعصي عليهم صخرة، فيستدعون الرسول - صلى الله عليه وسلم ليرى رأيه فيها ،فيأخذ الفأس ويضرب صلى الله عليه وسلم بعزم ويقول بسم الله ويقع أكثرها فيكبر المصطفى - صلى الله عليه وسلم- قائلا: {الله أكبر قصور الروم ورب الكعبة، ويضرب ضربة أخرى ويكبر قائلا: الله أكبر، قصور فارس ورب الكعبة.

ومن بين التكبيرات التي هزت قلب الدنيا وغيّرت وجه التاريخ، ونقلت البشرية نقلة ما كانت لتحدث إلا بقوة الله وشرع الله ،وجند الله ،من بين كل المبشّرات، والمعجزات التي ظهرت يوم الخندق، سمع فحيح النّفاق، وطنين التثبيط، ولهات التشكيك، صوت المنافيين في المدينة وهم يسمعون بشارات النبيّ - صلى الله عليه وسلم- لأصحابه {نحن نخندق على أنفسنا ومحمد يعدنا قصور فارس والروم}، تلك هي طبيعة النّفاق في كل مأزق توضع فيه الأمة، وفي كل موطن تحتاج الأمة فيه لكل قواها، التثبيط والتشكيك والتكذيب، في كل زمان ومكان ويشارك النبي أصحابه في العمل والحفر.

وينظر إليهم جياعا حفاة وقد أصابهم البرد والنصب، فيدعو لهم ولايملك إلا الدعاء {اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة} وهم يجيبون بقلوب مؤمنة محبة وحناجر تهتف للحق بحب وللرسول بحب وللجنة باشتياق وحب نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حيننا أبدا فيرون يومها من المعجزات والبركات والبشارات ، مما أفاض الله به على نبيه ،كما يرون يومها الابتلاء، والخوف ، وتكالب الأعداء ونقض العهود، والمساومة على الكرامة ، إذ بلغ الأمر بغطفان أن تساوم النبيّ - صلى الله عليه وسلم- لتشاطر المسلمين نصف تمر المدينة وإلا ملأها عليهم خيلا ورجالا.

ويجيب النبي المشفق على أصحابه وقد زلزلوا زلزالا شديدا وبلغت القلوب الحناجر :حتى استأمر السّعود، وهم سعد بن معاذ وسعد بن عباد، فيستشيرهما فيجيبان قائلين: والله ما أعطينا الدنيا من أنفسنا في الجاهلية ، فكيف وقد جاء الله بالإسلام؟

وأرسل الله نعيم بن مسعود مسلما ، وقومه لا يعلمون بإسلامه ، ويرغب أن يكلفه النبي - صلى الله عليه وسلم- بمهمة تعينهم فيما هم فيه.

فيقول له النبي : خذلّ عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة، فيفعل ويلقي الفرقة والفتنة في صفوف الأحزاب ويقف رسول الله - صلى الله عليه وسلم- خاشعا بين يدي ربه وهو يدعو دعاء المضطرّ الموقن بالإجابة {اللهم منزل الكتاب سريع الحساب إهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم}

وما كان الله ليخذل نبيه والمؤمنين، ولكنها سنة الله في المجاهدين الوارثين لجنّة الله أن يقدّموا الثمن العزيز للسلعة الغالية وتبلغ القلوب الحناجر ويبتلى المؤمنون حتى يزلزلوا.

ويتساءلون متى نصر الله؟

يستعجلون النّصر ولا يشكّون بصدق الوعد، ويتخوّفون على نبيّهم ومدينتهم ودينهم، وليس على أرواحهم. ويسجّل التاريخ الدعوي بطولات للرجال والنساء على حد سواء ، وعائشة أم المؤمنين تحدّث عن نفسها وهي تخرج تتبّع أخبار المعركة وعمر يغضب لذلك ويقول : لعمرى والله إنك لجريئة ، وما يؤمّنك أن يكون بلاء أو تحوّل ، يخشى على أم المؤمنين زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وابنة الصّدّيق ، من ويلات المعركة.

ويجيبه طلحة بن عبيد الله : لقد أكثرت يا عمر وأين التحوّل أو الفرار اليوم إلا إلى الله عز وجل؟

ويرسل الله جنوده المبتوثة في كل آفاق السماء والأرض ، ملائكة وريحا وبردا ورعبا ، تزلزل الأحزاب وتشتّت شملهم ، وتردّم خاسرين، وتستردّ يثرب روعها ، وتبرق في أروقتها رايات التوحيد الخالدة، وتخزي شردمة المنافيين، وتنقلب قريش بشرّ منقلب ، وقد ردّ الله الأحزاب بغیظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال، ويقف النبي في أصحابه مبشّرا {الآن

نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم}

وانتشت المدينة بأغاريد النصر وعزت القلوب الرجية بالظفر، وتسامقت الهامات الموحدة بالتكبير والتحميد [الحمد لله الذي صدق وعده وأعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده

المصادر: